

## تكنولوجيا الاتصال والإعلام في العالم الإسلامي ( الواقع وآفاق المستقبل )

الدكتور عبد الدائم عمر الحسن  
قسم الإعلام - جامعة أم درمان الإسلامية<sup>1</sup>

أصبح التطور التكنولوجي عنصراً من العناصر الرئيسية الداخلة في تطور عملية الاتصال الجماهيري ( خاصة من خلال الوسائل المسموعة والمرئية ) بين المصدر من جانب والجمهور المتلقي للمضمون الإعلامي أو للرسائل الإعلامية والثقافية التي تبثها الوسائل الحديثة للإعلام والاتصال من جانب آخر .

فإذا كانت التكنولوجيا الحديثة مؤثراً من المؤثرات الحديثة في عملية الإنتاج Production فهي أيضاً طرف مؤثر في عملية البث والانتشار diffusion أي فيما يتعلق بإمكانيات تطوير عملية البث والانتشار وتحسينها وسرعة تحقيقها والتغلب على العوائق التي كانت تعوقها وأيضاً مؤثر في عملية التعرض أي كيفية تعرض المتلقي للرسائل المختلفة التي تبثها الوسائل الإلكترونية الحديثة للاتصال .

ويمكن صياغة المشكلة التي تتعرض لها من خلال محاور هذه الورقة على النحو التالي :

إن الثورة التكنولوجية الهائلة في مجالات الاتصال والإعلام وتدفق المعلومات وما صاحب هذه الثورة من تطوير في الآلات الإلكترونية أدى إلى منافسة الإعلام المرئي في دول العالم السنامي بشكل عام وفي الدول الإسلامية بشكل خاص عن طريق التلفزيون الوطني

---

<sup>1</sup> يشغل حالياً منصب المدير العام للأكاديمية السودانية لعلوم الاتصال.

والدولي أي القنوات الفضائية الدولية والفيديو كاسيت والنظم الإعلامية الأخرى والتكنولوجيا المتقدمة في مجالات المعلومات . هذا الوضع يزداد خطورة إذا علمنا أن هناك ظواهر أخرى معاكسة تمنع إقامة بيئة إعلامية فعالة في هذه الدول أهمها تفتش الأمية والغزو الثقافي والفكري وازدياد التبعية السياسية للدول المصدرة للتكنولوجيا وما يترتب على ذلك من تعميق الهوة بين الدول العربية الإسلامية ودول العالم المتقدم الصناعي .

إن التقدم التكنولوجي والعلمي في مجال الاتصال برغم إيجابياته المرتبطة بعمليات البث والانتشار في المناطق التي كانت بعيدة عن نطاق التغطية الإعلامية الإذاعية والتلفزيونية في الدول العربية والإسلامية إلا أن له العديد من السلبيات والمساوئ التي ترتبط في أغلبها بكيفية التعرض لمضمون تلك الوسائل أي خطورة تعرض المتلقي للبرامج المختلفة دون أن تتوافر لديه المقومات والمهارات المعرفية الكافية لتحليل وانتقاء البرامج الفكرية والثقافية والمواد الإخبارية التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري المسموع والمرئي .

لقد هيا التقدم العلمي والتكنولوجي استحداث أدوات طورت في الشكل الناقل للفكر والمعرفة وطرحت العديد من القضايا والإشكاليات خاصة في مواجهة مجتمعات العالم الثالث عامة والمجتمعات العربية الإسلامية بصفة خاصة ويمكن حصر تلك القضايا في نقطة رئيسية وهي الإنتاج التكنولوجي الذي ساعد على تطوير وسائل الاتصال الجماهيري ولعل أخطرها إنتاج وتصنيع الأقمار الصناعية التي طورت ودفعت عملية الاتصال الجماهيري دفعة قوية و لقد ساعد إنتاج الأقمار الصناعية في انتشار فكرة التلفزيون الدولي الأمر الذي ساعد على تعميم برامج مصدر واحد وانتشارها في كافة مناطق العالم . ولاتقل خطورة التلفزيون الدولي عن عملية استحداث أجهزة الفيديو كاسيت ( والفيديو ديسك ) في ظل عدم توافر المقومات

والمهارات التعليمية الكافية لأغلب من يتعرضون لها في بلدان العالم الثالث . إذن هذا التطور الهائل في الإنتاج له تأثيره المباشر على مستوى البث والانتشار .

من هذا المنطلق يمكن حصر تناولنا لهذا الموضوع في عدد من المحاور هي :-

#### المحور الأول : تكنولوجيا الاتصال ومفهوم السيطرة والتبعية

إن المقدمة التي سبقت بلورت انعكاسات التطور التكنولوجي والصناعي وتحديد انعكاساته في مجالات الاتصال الجماهيري على مفهوم السيطرة والتبعية والغزو الثقافي والفكري لدول المصدر أي الدول الصناعية المتقدمة المنتجة للتكنولوجيا وفرض الثقافة الاستهلاكية وهناك نقطتان أساسيتان هما :-

##### النقطة الأولى :

#### الإنتاج التكنولوجي كمظهر من مظاهر القوة في العصر الحديث

ترتبط هذه النقطة بالتطور التكنولوجي وهو وليد التطور الفكري إذ أصبحت دول الغرب المتقدم تحتل المراكز الأولى في مجالات التطور التكنولوجي وأصبحت التكنولوجيا في هذه الدول مظهراً من مظاهر التسلط في هذا العصر في مختلف المجالات الصناعية والسياسية والاستراتيجية العسكرية والاقتصادية بل امتدت إلى مجالات التحكم الأيديولوجي والثقافي في مجال المعلومات.

هذا التطور الهائل في مجال العلم والتكنولوجيا أدى إلى اتساع الهوة بين الدول المصدرة للتكنولوجيا والدول النامية الناقلة لها مما ساعد على إحكام سيطرة المجتمعات الصناعية المتقدمة على اقتصاد الدول الوسيطة والصغيرة . وتهديد أمنها الثقافي والأيديولوجي بواسطة وسائل الإعلام والاتصال الحديثة . وحققت الدول الصناعية في

هذا المجال تطوراً هائلاً في الفترة الأخيرة خاصة في مجالات الاتصالات والأجهزة الإلكترونية ومجالات البث المباشر ونقل المعلومات بواسطة الأقمار الصناعية .

وكلنا يعلم أن الدول النامية دوماً ضحية لتفوق الدول الكبرى المتقدمة بسبب احتكارها للتكنولوجيا والمعلومات والتدفق الإعلامي من اتجاه واحد مما يزيد من تخوف الدول النامية والتي أصبحت في أغلب الأحوال مستهلكة فقط للإعلام الفضائي المتدفق في السماوات المفتوحة فوق هذه البلدان ، والذي يدخل دون استئذان إلى كل المنازل ويحمل ما يحمل من المضامين التي لا تتفق وأيديولوجيات وعقائد وسلوكيات دول العالم الإسلامي دون أن يكون لهذه الدول إعلام رسالي مضاد يواجه تلك المضامين .

#### السيطرة والتبعية :-

إن التبعية التكنولوجية المطلقة لبلدان العالم النامي للدول المتقدمة المنتجة للتكنولوجيا والمتحكمة في مضامين وسائل الاتصال والإعلام الرئيسية وشبكات الإعلام لها أثر كبير على الاتصال في بلدان العالم النامي عامة والبلدان الإسلامية خاصة لعدم تكافؤ توزيعها من جانب والتبعية الفكرية من جانب آخر .

ويمكن القول بان الثورة التكنولوجية واستخدامها في مجالات الاتصال والإعلام والمعلومات وتمركزها في عدد قليل من الدول الصناعية المتقدمة أدت الى خلق نماذج استهلاكية وفرض الثقافة الرأسمالية الاستهلاكية .

ومن هنا فإن الاستعمار غير وجهه وتحول من استعمار كلاسيكي إلى استعمار جديد قوامه تكنولوجيا المعلومات والاتصال يلونها ويشكلها كيفما شاء بألوان زاهية

جذابة من المعلومات الزائفة والأخبار المتوترة والثقافات المسطحة . ولا يكتفي بحرية الأفكار في اتجاه دول العالم الثالث بل يسعى إلى تشكيك الشباب في مجتمعهم وتاريخهم وقيمهم ( ونحن نعلم إن الشباب يشكل المستهلك الأول للإعلام بكل أنماطه وأنواعه ) . ولذا فإن هذا الاتجاه أدى إلى بوادر أزمة هزت ثقة الشباب في حاضره هزاً ، ودكست أسس إيمانه بأمجاده الماضية دكاً ، وأصبح المستقبل ضباباً كثيفاً في أنظارهم وانفصمت عرى التضامن بين الأجيال تلك هي النتيجة .

#### تكنولوجيا الاتصال وواقع الدول الإسلامية :

تشير الكثير من الدراسات إلى أن أكثر من 90% من التكنولوجيا العالمية مستكرة لدى عدد من الدول الغربية الرأسمالية والشركات المتعددة الجنسية . وتحقق تلك الدول أرباحاً عالية من جراء بيع الأجهزة والمعدات التقنية بأسعار باهظة لدول العالم الثالث عامة والدول العربية الإسلامية خاصة .

وظالمنا أن الأمر كذلك والتبعية بهذا المستوى فعلى الأقل يجب بذل الجهد والعمل المتصل لصيانة حق شعوب تلك البلدان في الاتصال والإعلام والحد من احتكار حيازة ثقافة الإعلام التكنولوجي لدى فئة على حساب الفئات الأخرى .

هنا يجب أن نقول : إن للأيديولوجيا ولصناعة المعرفة في صورها المختلفة دوراً خطيراً في التنمية الثقافية والتقدم الاجتماعي ولهذا يجب أن يخضع العلم والتكنولوجيا في مجتمع العالم الإسلامي إلى أيديولوجية ذلك المجتمع لأن تخضع أيديولوجية المجتمع لها وهنا المقصود خضوع العلم والتكنولوجيا للعقيدة والمبادئ الإسلامية لأنه وبدون توجيه العلم والتكنولوجيا وفقاً للعقيدة واستخدامها للتقدم الإنساني فإنهما يتحولان وكما في المجتمعات الاستغلالية إلى أدوات للاستغلال والحرب والسيطرة .

لقد أدت الثورة التكنولوجية إلى ثورة مماثلة في جمع المعلومات ووسائل نقلها . وبالطبع فإن التطور في تكنولوجيا المعلومات والاتصال يعتمد أكثر ما يعتمد على التطور التكنولوجي في مجالات الكمبيوتر أو الحاسبات الآلية وما تبعها من تطور في شبكات المعلومات (INTERNET) من جانب والتطور في تكنولوجيا الاتصالات السلكية من جانب آخر لأن مراكز المعلومات وشبكات جمع البيانات وتخزينها تعتمد على التطور العلمي والتكنولوجي في مجالات الاتصالات السلكية وتكنولوجيا الكمبيوتر .

ولهذا فإن دول العالم الإسلامي تواجه مخاطر كبيرة نتيجة للتطور الهائل في المجالات العلمية والتكنولوجية المتمركزة في الدول الصناعية المتقدمة وتهدد الأمن الثقافي والفكري في تلك الدول النامية الناقلة والمستهلكة للتكنولوجيا .

وبالطبع والواقع في دول العالم الثالث كما سبق وأن ذكرنا فإن تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجماهيري تكنولوجيا متقدمة متطورة دائماً وكل يوم تطل بوجه جديد إلا أن هذا التطور المستمر يحدث في اتجاه واحد وهو اتجاه الدول التي تملك العلم والثروة والمعلومات والمهارة لاستيعاب المزيد من التدفق وبذلك تزداد الهوة بين الأغنياء في المعلومات وفقرائها والذين يملكون المعلومات هم في أفضل وضع لتقويم المعلومات الجديدة واستخدامها .

وبالرغم من أن دول العالم الإسلامي نالت جميعها استقلالها إلا أنه استقلال نسبي نسيجة للتبعية والهوة العميقة بينها ودول العالم المتقدم المنتجة للتكنولوجيا مما أدى لاستمرار عملية الاختراق الثقافي وامتدادها إلى ميادين متعددة شملت الإعلام والإنتاج الثقافي من أفلام وبرامج تلفزيونية وغيرها . إن ما تنقله الأقمار الصناعية عبر القنوات الفضائية إلى دول العالم الإسلامي من برامج وأخبار وأحداث وثقافة وتربية لا تحكمها

اعتبارات محايدة أو موضوعية بل تحكمها رؤية الدول المتقدمة المسيطرة وفق ما ترى أهمية إذاعته وتوزيعه .

هذا العرض السابق يوضح ما تتعرض له دول العالم الإسلامي من صعوبات ومشكلات نتيجة مباشرة لقدرة العالم الغربي المتقدم في الإنتاج المتزايد للعلم والتكنولوجيا ، كما يوضح عدم التوازن في القدرة على التحكم والسيطرة على أنظمة الفضاء وان هناك اختلافات جوهرية فيما يتعلق بالقدرة على التحكم والسيطرة على أنظمة الاتصال التكنولوجي المتقدم والمتطور دوماً إلى جانب ضعف قدرة الدول الإسلامية خاصة ودول العالم الثالث عامة على الإنتاج التكنولوجي والصناعي في مجتمعات تخضع لسيطرة الدول المصدرة للتكنولوجيا وتلجأ إليها في الغرب أو الشرق لتصنيع أقمارها بل وإطلاقها .

ومن خلال هذا المحور لابد من الإجابة على هذا التساؤل الملح وهو هل حققت الدول العربية والإسلامية استقلالها الإعلامي؟!

قد يبدو للبعض غرابة هذا التساؤل خاصة بعد مضي أكثر من ثلث قرن على حصول غالبية هذه الدول على استقلالها السياسي . ولكن سوف يتبدد الشعور بغرابة التساؤل في ظل التكنولوجيا المتطورة عندما نواجه بعدد من الظواهر سبق التعرض لها ونجملها في الآتي :

أولاً : إن غالبية وسائل الاتصال والإعلام مصنعة خارج الدول الإسلامية فالبنية الأساسية للاتصال والإعلام لا تنتج في هذه الدول .

ثانياً : أن المؤسسات الإعلامية الدولية المملوكة للدول المنتجة للتكنولوجيا تحتكر نسبة كبيرة من مصادر المعلومات الإعلامية المستخدمة في الدول الإسلامية .

ثالثاً : هناك عشرات من الإذاعات الموجهة إلى دول العالم الإسلامي وبلغاتها الوطنية من قبل الدول الكبرى وعلى سبيل المثال توجد أكثر من ثلاثين إذاعة موجهة إلى الدول

العربية والإسلامية وباللغة العربية من قبل دول أجنبية وأغلبها من الدول التي كانت تستعمر بعض هذه الأقطار .  
رابعاً : إن محطات التلفزيون في الدول العربية الإسلامية تستورد ما بين 40% و60% من برامجها من الدول الغربية .  
إذاً هذه الظواهر جميعها تؤكد عدم وجود استقلال إعلامي حقيقي لوسائل الإعلام في دول العالم العربي والإسلامي وإن التبعية الإعلامية قد حلت مكان السيطرة الإعلامية المباشرة لسلطات الاحتلال الأجنبي .  
وقد ترتب على التبعية الإعلامية نتائج بالغة الخطورة على وسائل الإعلام في الدول العربية الإسلامية أبرزها .

الأولى : تزايد نفوذ وكالات الإعلان الدولية على سوق الإعلان في الدول العربية الإسلامية مما يفقد الكثير من الصحف في هذه الدول استقلالها الفكري ويهدد بالقضاء على أي أمل في تحقيق حرية الصحافة خاصة وإن الإعلان يمثل المورد الرئيسي للصحافة المعاصرة .

الثانية : تزايد اعتماد وسائل الإعلام في الدول العربية والإسلامية على الإنتاج الإعلامي الأجنبي من شأنه أن يوجد رأياً عاماً منحازاً للمصالح غير الوطنية ويروج للقيم والأفكار التي تعمل على تشويه الهوية الثقافية لشعوب تلك الدول بهدف تكريس التبعية الإعلامية أو الاستعمار الإعلامي الجديد .

الثالثة : إن الدول العربية الإسلامية تعاني من ضعف البنية الأساسية في وسائل الاتصال وهي تواجه في نفس الوقت العديد من المشكلات في كيفية اختيار المعدات الإنصالية أو إنتاجها .



المحور الثاني : إشكالية تكنولوجيا الاتصال وثورة المعلومات من منظور الدول الإسلامية

إذا كانت قد تباينت تحليلات واستنتاجات الإعلاميين في مجتمعات العالم النامي حول النظام العالمي الجديد للإعلام والاتصال ، وتقييمهم لأهدافه وقدرته على وضع حد لتلك الإشكاليات والقضايا التي تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم فإن هناك شبه إجماع حول القضايا والإشكاليات التي تواجهها دول العالم النامي بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة من آثار التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وما سببته عليها من عواقب تهدد الأمن الثقافي والفكري والتربوي للدول الإسلامية وبصفة خاصة تلك الوسائل التي ستزيد من طاقة الإرسال والبيث وبالتالي ستزيد من تأكيد السيطرة الإعلامية والثقافية لوسائل الاتصال والإعلام الإلكتروني خاصة المرئي والمسموع .

ونشير هنا إلى أن سيطرة الدول الكبرى على وسائل وتقنيات الاتصال المتطورة أدت إلى إثارة اهتمام عدد من المفكرين مما جعلهم ينادون بالبحث عن وسيلة مناسبة لتحقيق العدالة في تدفق المعلومات بين دول العالم المختلفة وتخفيف قبضة القوى الكبرى على أجهزة صناعة الفكر في العالم . وقد ازداد الموقف تعقيداً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي من ساحة المنافسة الإعلامية ، وسيطرة الولايات المتحدة ومعها دول أوريسا الغربية وعدم ظهور قوة دولية بديلة للاتحاد السوفيتي تضع حداً للهيمنة الأوروبية على وسائل الاتصال الإلكترونية وعلى الرأي العام العالمي .

لقد فرضت تكنولوجيا الاتصال نفسها بقوة على العصر الذي نعيش فيه بصورة واضحة ، حيث أصبح العالم بفضل هذا التطور المذهل مجرد بقعة محدودة ، ومع كل تطور في تكنولوجيا الاتصال تتطور معه موارد المعلومات ، وتطورها يبشر بأن العالم يتغير تغيراً سريعاً وان التقنيات القديمة آخذة في الانحسار ولعلنا نغزو تبؤ الدول المتقدمة

والغنية مواقع القيادة والريادة في هذا المجال ألي ارتفاع مكانة التكنولوجيا المعاصرة بعد أن أصبح الإعلام صناعة ضخمة تحتاج لإمكانات كبيرة وللايين الدولارات وهذا لا يتوافر إلا في تلك الدول وبفضله أصبحت تسيطر على السوق العالمي لإنتاج وتوزيع السلع والخدمات الإعلامية ، وغدت هذه الصناعة خاضعة لإمبراطوريات ضخمة تنظم السوق وفق ظروفها ومصالحها واحتياجاتها .

ونظراً لارتفاع تكلفة تكنولوجيا الإعلام والمعلومات فإن هذا الواقع ينعكس بصورة حادة على نشاط أجهزة الإعلام في الدول الإسلامية مسموعة ومرئية ومطبوعة نظراً للعجز الذي تعاني منه هذه الأجهزة والذي لا تستطيع معه هذه الدول تطوير نفسها أو اللحاق بركب التقدم .

وهنا تكمن الأزمة التي تواجهها وسائل الإعلام في العالم الإسلامي حيث ظلت هذه الوسائل تعتمد على الطرق التقليدية وهذا لا يمكنها من التجاوب مع التقنيات الجديدة مثل استثمار شبكة (( الإنترنت )) وعدم القدرة على استخدام الحاسب الإلكتروني في تخزين واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشري في أقل حيز متاح وبأسرع وقت ممكن خاصة وان مراكز المعلومات في هذه المجتمعات تعاني نقصاً حاداً في الكم والكيف في معظم الدول الإسلامية ، وبالإضافة إلى هذه الإشكالية نجد أن هناك إشكالية أخرى وهي احتكار الدول المتقدمة لتكنولوجيا ومصادر المعلومات الإستراتيجية التي تحملها أقمار الاستشعار عن بعد وتحجبها عن الدول الإسلامية مما أعطى لهذه الدول مزيداً من السيطرة والتفوق في الوقت الذي لم تستطع فيه المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي أن تحقق شيئاً يذكر في هذه المنافسة وهذا الصراع الدائر في الساحة الدولية .

إن واقع الدول الإسلامية الحالي يدعو للأسف نسبة لإقبال هذه الدول على شراء التكنولوجيا من الدول المتقدمة والسيطرة ولم تسع إلى تعلمها - لذلك كان

موقف دولنا الإسلامية من التقدم التكنولوجي موقف الزبائن بينما وقفت كثير من الدول الأخرى كاليابان من هذا التقدم موقف التلاميذ تعلموا وتقدموا وطوروا أنفسهم ونافسوا القوى الكبرى وفرضوا إنتاجهم وحافظوا على تراثهم وتقاليدهم بينما وقع العرب المسلمون في أخطاء قاتله ومارس إعلامهم دوراً لا يتفق مع حركة الأحداث وسرعة إيقاع الحياة .

إن أبرز الإشكاليات التي تواجه الدول الإسلامية في ظل التطور التكنولوجي وثورة الاتصال والمعلومات إلى جانب الإشكاليات التي سبق ذكرها هو ذلك الاختلال الإعلامي وانعدام التوازن في تدفق المعلومات من قبل الدول المنتجة للتكنولوجيا والمهيمنة على سوق المعلومات وهذا مرتبط أبدأ بالتفوق العلمي والتكنولوجي لهذه الدول في مجالات الاتصال المختلفة بينما تعاني دول العالم الإسلامي من فقر مدقع في هذا المجال مما أدى إلى ظاهرة انعدام العدالة في تبادل المعلومات بين الدول الكبرى والدول الإسلامية مما جعل معظم البلاد الإسلامية بلاداً مستهلكة للمعلومات التي تصدر إليها .

إن هذا الوضع يقود للهيمنة الفكرية على بلدان العالم العربي والإسلامي والتي تفرضها الدول الكبرى بسبب سيطرتها على قنوات الاتصال الدولية عن طريق الاستثمار المباشر فيها فأصبحت الدول الإسلامية مستهلكة للتكنولوجيا وللمضامين التي تبث عبر وسائل التكنولوجيا بما يخدم أهداف الدول المسيطرة ويتناقى مع تقاليد وعقيدة الشعوب الإسلامية ويسئ إلى ثقافة تلك البلدان المستقبلية وتشويه تاريخها وحضارتها .

هناك إذاً وباختصار اختلال كبير بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث عامة والدول الإسلامية خاصة لا في امتلاك تكنولوجيا الإعلام والاتصال فحسب بل أيضاً في تركز المعلومات والمضامين التي تمرر عبر هذه التكنولوجيا وهو ما تراه دول العالم

الثالث منافياً للمواثيق التي تنظم العلاقات الدولية وترى فيه مسأً لسيادتها وكرامتها ومستقبلها خاصة وأن هذا الاختلال والتفاوت هو الذي منح الدول الأقوى القدرة على السيطرة وتوجيه النظام الإعلامي الدولي لصالحها .

ونشير في ختام هذا المحور إلى تبني المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ) طرح دول العالم الثالث وإقرارها مقترحات دول عدم الانحياز الداعية إلى ضرورة إقامة نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال يستهدف إقامة علاقة مساواة بدلاً من العلاقة الحالية القائمة بين أولئك الذين يسيطرون وأولئك الذين يخضعون للسيطرة . وهى بلا شك إشكالية السيطرة التكنولوجية وسيطرة المضامين التي تستخدم مصالغ وأهداف الدول المصنعة للتكنولوجيا والمنتجة للمضامين والمهينة على سوق المعلومات ومن ثم إشكالية الدول الإسلامية باعتبارها المستهلك للتكنولوجيا وللمضامين معاً .

### المحور الثالث : الدول الإسلامية ومواجهة الغزو الفكري في ظل التطور التكنولوجي

ترتبط بقضية التكنولوجيا قضية أخرى فرضت نفسها على الساحة الإعلامية وهى قضية البث المباشر عبر الأقمار الصناعية وانتشار العديد من القنوات الفضائية والتي تؤكد السيطرة التكنولوجية والثقافية مما يشكل غزواً ثقافياً وفكرياً لن تفلح الرقابة أو المنع في مواجهته والكل يعلم أنه ومع بدء الاستخدام الفوضوي للفضاء الخارجي زادت هيمنة الدول المتقدمة على وسائل الاتصال الدولية ومراكز المعلومات ووكالات الأنباء وأجهزة صناعة الفكر في العالم .

وكما سبق وأن ذكرنا فإن الدول العربية الإسلامية ما تزال دولاً مستهلكة بمعنى هذه الكلمة ومهددة بالغزو الثقافي والفكري والسبب في ذلك يعود إلى أن هذه الدول لم تسنح حتى الآن في وضع سياسة إعلامية تترجم هويتها الثقافية ومعطياتها

الحضارية وتوجهاتها التربوية على أسس من العقيدة والقيم والآمال المشتركة في مواجهة هذه الهيمنة ، ولم تستطع في ذات الوقت أن تحدد موقفها من العالم الذي أصبح يؤثر فيها بدلاً من أن تؤثر هي فيه بسمو عقيدتها ونبل أخلاقها وسماحة دينها .

وبالطبع فإن البرامج التي تبث من الدول المتقدمة عبر القنوات الفضائية تحمل الأفكار والعقائد التي تخدم أهداف تلك الدول وتؤثر على نفسية شعوب الدول العربية والإسلامية من خلال انتشار المناهج الغربية خاصة على نفسية وشخصية الأطفال والصبية في مراحل الطفولة الأولى وهنا مكنم الخطورة لتعرضهم لمشاهد العنف والجنس والجريمة والعقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة مما يترك بصماته على سلوك أبناء المسلمين .

إذاً كيف تواجه الدول العربية والإسلامية الغزو الفكري في ظل التطور التكنولوجي المستمر؟!

إن مواجهة الغزو الثقافي لن يكتب لها النجاح إلا من خلال تحصين الجماهير ضد هذا الغزو بالإنتاج الهادف المدروس والمضامين المختارة بعناية وتقديم ذلك بصورة جذابة ومقنعة وفق المعايير والضوابط العلمية والفنية وفي ذات الوقت إصلاح أجهزة الإعلام لتكون في الوضع الذي يمكنها من الوقوف في مواجهة عمليات الإهمار والجذب الشديد الذي تمارسه القنوات الفضائية الأجنبية بكل ما تملك من تقنيات عالية وتكنولوجيا متقدمة .

بالطبع لكي تواجه الدول العربية والإسلامية هذا الواقع لابد من أن تعي أن التكنولوجيا هي تعبير عن الواقع الاجتماعي والثقافي الذي تنشأ فيه وبالتالي فإن السمادج التكنولوجية التي تطورت استجابة لحاجات مجتمع ما قد لا تصلح في اغلب الأحيان لمجتمع آخر له ظروف مغايرة كما أن عملية نقل تكنولوجيا الاتصال ليست مقصودة لذاتها وإنما هي أداة لتحقيق أهداف التنمية الوطنية لهذه الدول في

مجال الاتصال. فالتكنولوجيا الملائمة هي تلك التي تتناسب مع الإمكانيات الذاتية لهذه المجتمعات والتي تحقق الاستغلال الأمثل لمصادر التكنولوجيا المتاحة في المجتمع والتي تعمل على تنمية وتطوير مصادر التكنولوجيا الوطنية .

#### الاختيار التكنولوجي اختيار سياسي :-

وهنا لابد كذلك من الأخذ في الاعتبار تأثير الاختيار التكنولوجي على علاقة التبعية للدول المتقدمة ، وذلك أن الاختيار التكنولوجي في مجال الاتصال ليس قضية فنية فحسب وإنما اختيار سياسي في المقام الأول وأن الوضع الراهن لتكنولوجيا الاتصال في الدول العربية والإسلامية يؤكد ضعف البنية الاتصالية مما يجعلها عاجزة عن استيعاب قدر كبير من إنجازات التكنولوجيا الحديثة في الاتصال مما ينعكس سلباً على وسائل الإعلام فيها ويحول دون مواكبتها للتطور التكنولوجي ومن ثم تفقد شعوبها الثقة في وسائلها الإعلامية وتقع فريسة للغزو الفكري والثقافي من تعرضها المستمر والدائم للقنوات الفضائية الأجنبية التي يزيد انتشارها يوماً بعد يوم وتطل كل يوم بوجه جديد - وبالتالي تصبح تلك الدول عاجزة كذلك من الاستفادة الكاملة من إمكانيات هذه التكنولوجيا . وعلى سبيل المثال كيف يمكن لصحيفة تصدر في دولة نامية كالسودان أن تستورد مطبعة جاهزة لطبع مائة ألف نسخة في الساعة في حين أن مجموع ما يطبع من هذه الصحيفة لا يزيد على عشرة آلاف نسخة وهو الأمر الذي يؤكد عدم ملائمة الكثير من تكنولوجيا الاتصال الحديثة في الدول الإسلامية لاحتياجات وظروف هذه الدول .

مقومات ومستلزمات الأمن التكنولوجي والاكتفاء الذاتي :

لمقابلة هذه الفجوة التكنولوجية الواسعة لابد أن يتحقق لهذه الدول ما يمكن أن نسميه ( الأمن التكنولوجي ) في مجال الاتصال وذلك عن طريق عدة وسائل ومن أهمها

1- العمل على حسن اختيار التكنولوجيا الملائمة لإمكانيات وحاجات الدول الإسلامية .

2- توطين تكنولوجيا الاتصال الحديثة في المجتمعات الإسلامية بحيث تصبح جزءا من بنائها الاجتماعي والثقافي كمقدمة لتنمية مصادر التكنولوجيا الوطنية .

3- التعاون المشترك بين الدول الإسلامية سواء في شكل جماعي أو ثنائي في استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة عالية التكلفة ( مثل الأقمار الصناعية ) وأن تنجح في المستقبل للإنتاج الذاتي لتكنولوجيا الاتصال .

4- الاستفادة من الفرص الرحبية التي أتاحتها عصر الفضاء للإعلام الإسلامي ولم تكن متاحة من قبل بل ولم تخطر ببال أحد .

أولى هذه الفرص : هي فرصة الدعوة إلى الإسلام بسهولة في أفاق الدنيا ودحض الافتراءات على الإسلام والمسلمين من خلال استغلال وسائل التكنولوجيا الحديثة التي أضحت متاحة والتي يمكن توافرها بتضافر جهود الدول الإسلامية كما أسلفنا من قبل وتعاونها المشترك حتى تتاح للإعلام الإسلامي الفرصة للانتشار وباللغات الأجنبية الحية وذلك عبر قناة إسلامية فاعلة .

ثاني هذه الفرص : فرصة التعارف والتواصل والتفاعل بين الشعوب الإسلامية التي طال تباعدتها واغترابها بعضاً عن بعض وما يعنيه ذلك من سعى إلى الوحدة الروحية والفكرية والوجدانية بين المسلمين .

5/ إيجاد التمويل اللازم للحصول على التكنولوجيا المتطورة والاهتمام بالتدريب والتخطيط السليم ، لتحقيق مقومات ومستلزمات اكتفاء ذاتي لتكنولوجيا

الاتصال في دول العالم الإسلامي ولكي يتم ذلك لابد أن تعي تلك الدول ما سبق أن ذكر من وسائل تعي بتحقيق الأمن التكنولوجي عن طريق الاهتمام بالتعاون المشترك في الحصول علي التمويل اللازم لإيجاد الإنتاج التكنولوجي الذاتي في هذه البلدان وكذلك تكثيف التدريب ( التكوين ) للكوادر ( الأطر ) الفنية التي تضطلع بمهمة العمل الإعلامي فنياً وبرامجياً وفقاً لأسس التدريب التكنولوجي الحديث والمضامين الهادفة لإحداث وسائل إعلامية ذات فعالية يمكن أن تواجه الغزو الفكري والثقافي من خلال برامج متميزة و متقنة .

إذن هناك ثلاث مسائل تشكل أهمية لتحقيق الأمن التكنولوجي في دول العالم الإسلامي وهي :-

الأولي التمويل :-

إن التمويل يعد أداة مهمة للخروج من التبعية التكنولوجية والإعلامية . فإذا تضافرت الجهود المالية للدول الإسلامية مجتمعه ووظفت التوظيف الأمثل لإنتاج تكنولوجي مشترك ملائم للبيئة الإسلامية فهذه بداية الخلاص والانعتاق ومن ثم مواجهة الغزو الثقافي والفكري .

الثانية التدريب ( التكوين ) :-

أما التدريب فهو أمر ضروري وعنصر أساسي من عناصر النجاح في مواجهة ذلك الغزو عن طريق إعداد كوادر إعلامية قادرة على النهوض برسالة الإعلام الإسلامي وقادرة على تحقيق التواصل الإعلامي الإسلامي .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن التأهيل إعلامياً لا يكون فقط بالأخذ بتكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديث أو الدخول في عصر الفضاء أو تقوية البنية الإعلامية مادياً من أبنية وأجهزة ومعدات إلى آخره .. وإنما يكون الأساس بكوادر إعلامية مؤهلة



ومدرية جيداً على العمل الفني والإعلامي للنهوض بالرسالة الإعلامية والمضامين بوعي تام وبمبادرة ذاتية وبتأهيل علمي وعملي . والأمر يتطلب لتحقيق ذلك برامج تدريبية متكاملة سواء على مستوى كل دولة أو على مستوى الدول الإسلامية مجتمعة وكلاهما يمثل ( ضرورة ملحة ) . وهذا ما تؤكدُه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بإتجاهها لتبني مراكز إقليمية ( جهوية ) في الأقطار الإسلامية إلى جانب تقوية المراكز القائمة في الدول العربية والإسلامية ودعمها تكنولوجياً لتؤدي مهمتها علي الوجه الأكمل وفق تخطيط مدروس يراعي احتياجات ومتطلبات تلك البلدان وينبغي ألا يختصر التدريب علي الجانب البرامجي بل يجب الاهتمام بالجانب التقني والتكنولوجي . المطلوب أيضاً في مجال التدريب الاهتمام بإنتاج التكنولوجيا والتدريب عليها للتخلص في المستقبل القريب من التبعية التكنولوجية وتحقيق الأمن التكنولوجي المنشود .

الثالثة التخطيط :-

إن التخطيط هو استخدام الطاقات القصوى المادية والبشرية من أجل بلوغ الأهداف المرسومة علماً بأن التخطيط لا يتضمن فقط تحديد الأهداف بل يشمل رسم الخطط والتنسيق ووضع البرامج والمتابعة والتقييم فالدول الإسلامية عن طريق التمويل والتدريب والتخطيط السليم وتحديد الأهداف والوسائل وعن طريق الاستخدام الأمثل للإمكانيات المتاحة في زمن محدد تستطيع مواجهة الغزو الفكري وتحقيق الاكتفاء الذاتي من مقومات ومستلزمات التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصال ووسائله وكوادره وهذا ما يدعو إلى أهمية وجود قناة فضائية إسلامية يتوافر لها التمويل اللازم والكوادر (الأطر) الإسلامية المدربة والتخطيط البرامجي العلمي السليم لمواجهة الغزو الفكري والثقافي الذي تتعرض له دول العالم الإسلامي .

نحو قناة فضائية إسلامية :-

إن السذي يتأمل في سماوات العالم الإسلامي المفتوحة المليئة بالقنوات الفضائية يجد أنه وبالرغم من وجود العديد من القنوات الفضائية في الدول العربية والإسلامية إلا أنها في رأسي لم تنجح حتى الآن في احتواء المتلقي العربي المسلم وتحقيق احتياجاته ورغباته وتلبية طموحاته

ومن هنا فإن الحاجة تبدو ماسة إلى ظهور قناة فضائية إسلامية تسد هذا الفراغ وتجذب المشاهدين وتعمق المفاهيم الدينية الصحيحة لدى المشاهد المسلم خاصة وقد انتشرت القنوات المتخصصة وأصبحت هناك أكثر من قناة للأخبار والرياضة والأفلام وللأطفال وللمنوعات والموسيقى وقنوات تعليمية وثقافية .

برغم هذا التقدم الملحوظ وتعدد وانتشار القنوات المحلية والفضائية في الدول العربية والإسلامية إلا أن المادة التي تبث في هذه القنوات لا تزال قاصرة بصورة عامة عن إشباع حاجات المشاهدين المسلمين وتناول قضايا الأمة الإسلامية بصورة علمية جادة .

إذا لابد من قناة فضائية إسلامية !!

تبدو الحاجة ملحة لقناة فضائية عربية إسلامية لعدة أسباب أهمها :-

- 1) إن القنوات الفضائية في الدول العربية الإسلامية لم تحقق الطموحات المعقودة عليها في تناول قضايا المواطن العربي المسلم ودحض الافتراءات علي هذه الأمة بل جاءت مضامينها تكراراً لما تبثه القنوات الأجنبية .
- 2) اهتمت القنوات في الدول العربية والإسلامية بالانتشار فقط وزيادة عدد ساعات البث دون إدراك لطبيعة المضمون ومدى ملاءمته لحاجات الجمهور المتلقي .

3) لم تنجح القنوات في المنافسة والصمود بل حاولت جذب الجمهور بمضمون هابط .

4) فشلت هذه القنوات العربية في تقديم عمل عربي إسلامي واحد يبرز حضارتنا وقيمنا وتاريخنا وتعاليم ديننا ويجمع الجمهور العربي والمسلم كله في إطار واحد ونحو هدف واحد .

5) لم تنجح تلك القنوات في تبني قضايا العالم العربي والإسلامي والرد على مزاعم الغرب

6) القنوات الفضائية العربية تعتمد في أغلب برامجها على الإنتاج الغربي والمواد الأجنبية التي لا تفي باحتياجات المشاهد العربي المسلم بل تحمل غزواً فكرياً وثقافياً مغلفاً وفي أخطر المجالات ( الدراما والتنوعات وبرامج الأطفال ) .

كل ذلك يحتم وجود قناة فضائية عربية إسلامية تستفيد من التطور التكنولوجي واستغلاله الاستغلال الأمثل بما يخدم رسالة الإسلام والإعلام الإسلامي . ولذا ستكون مهمة هذه القناة الجديدة إيجاد تيار من الوعي والإدراك لدى الجماهير وتبصيرهم بشئوهم بأسلوب عقلائي على أن تتصف بالآتي: -

أولاً : الالتزام بالأخلاق دون تزمت :

وذلك من خلال بث برامج جيدة ومميزة تظهر بوضوح حضارة ورقية وثقافة الأمة العربية والإسلامية وتجذب المشاهدين .

ثانياً : الحديثة والواقعية :-

هناك حاجة ملحة للبرامج الهادفة من جانب المشاهدين الذين يطالبون بتقديم برامج جادة هادفة بدلاً من البرامج والمسلسلات الهابطة . فمطلوب في

هذه القناة تناول الموضوعي الجاد والواقعي بوعي ومعرفة وعلم وأن تفتح الحوار وتشجع العقول على طرح أفكارها لتواكب ثورة الاتصال والتكنولوجيا وفقاً للعقيدة الإسلامية .

ثالثاً : المحافظة دون تقليدية :-

إن المشاهد العربي والإسلامي ظل يبحث دوماً عن قناة جديدة يشاهد فيها نفسه وقضاياها قناة ملتزمة دينياً وأخلاقياً تتسم بالابتكار والتجديد في إطار الثقافة العربية الإسلامية ذاتها وفي إطار من المحافظة بعيداً عن التقليدية . وقد أكدت الدراسات أن المشاهد العربي المسلم يفضل البرامج القصيرة السريعة الهادفة أكثر من البرامج الطويلة .

إذاً الحاجة ماسة بالفعل للبديل الإعلامي الذي يعالج سنيات ((القنوات الفضائية في الدول العربية والإسلامية ويزرع الحضارة الإسلامية والتراث والقيم الأخلاقية ويعالج قضايا المجتمع المسلم في إطار المنهج الإسلامي والحضارة الإسلامية تلك هي القناة الفضائية الإسلامية )) المرتقبة .

وفي ختام هذه الورقة التي تناولت محاورها تكنولوجيا الاتصال ومفهوم السيطرة والتبعية ، وإشكاليات هذه التكنولوجيا من منظور إسلامي وكيفية مواجهة الدول الإسلامية للغزو الفكري والثقافي في ظل هذا التطور التكنولوجي السريع ، نختص إلى عدد من النتائج والتوصيات التي نأمل أن يتاح لها التنفيذ في القريب .

#### النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج :-

نخلص من هذه الورقة إلى عدة نتائج أهمها :-

- 1) أن التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصال تعد مؤثراً فاعلاً في عملية الإنتاج وعملية الانتشار من حيث تطويرها وتحسينها وسرعة تحقيقها والتغلب على كل العوائق التي كانت تعترضها في الماضي .
- 2) إن التطور الذي حدث في مجالات الاتصال والإعلام والمعلومات وتدفعها وما صاحب ذلك من تطور مضطرد في صناعة الآليات الإلكترونية أدى إلى خلق منافسة قوية في مجال الإعلام المرئي عبر القنوات الفضائية خاصة في الدول النامية ومنها الدول الإسلامية وتبع ذلك تنافس في المضمون الموجه إلى شعوب تلك البلدان فأصبحت مستهلكة غير منتجة للمضمون .
- 3) تفشّي الأمية ساعد على الغزو الفكري والثقافي ومن ثم انعدام البيئة الإعلامية الفعالة في هذه الدول وازدياد التبعية السياسية والتكنولوجية للبلدان المصدرة للتكنولوجيا والمرسلة للمضمون مما عمق الهوة بين دول العالم الإسلامي ودول العالم المتقدم الصناعي .
- 4) خطورة تعرض المتلقي العربي والمسلم لمضمون الرسائل الإعلامية الموجهة من الدول المتقدمة دون أن تتوافر لديه الإمكانيات المعرفية والفكرية لتحليل مضامين تلك الرسائل وانتقاء البرامج الفكرية والمواد الأخبارية فيقع فريسة للغزو الفكري والثقافي .
- 5) إن الدول الإسلامية دوماً هي ضحية للدول المتقدمة المحتكرة والمسيطرّة على التكنولوجيا والمعلومات مما جعلها دولاً مستهلكة وخلق الفجوة وعدم التكافؤ في توزيع المعلومات وتدفعها وأدى إلى التبعية التكنولوجية والسيطرة الفكرية .
- 6) إن تمركز تكنولوجيا الاتصال والإعلام في عدد قليل من الدول المتقدمة فرض ثقافة رأسمالية استهلاكية وتلك صورة من صور العولمة .

- (7) من النتائج كذلك أن الدول الإسلامية لم تحقق حتى الآن استقلالها الإعلامي بدليل تبعيتها الكاملة تكنولوجياً للدول الكبرى التي تصنع وتسوق التكنولوجيا الحديثة وكذلك احتلال هذه الدول للمؤسسات الإعلامية الدولية المتحكمة في صناعة المعلومات إلى جانب عشرات الإذاعات والقنوات الموجهة إلى الدول الإسلامية وبلغاتها الوطنية . والاعتماد علي الإنتاج الإعلامي المصنع في تلك البلدان بنسبة تزيد عن 50% خاصة الدراما والمنوعات وبرامج الأطفال .
- (8) عدم تجاوب كثير من بلدان العالم الإسلامي مع التقنية الجديدة كاستثمار شبكة الإنترنت واستخدام الحاسب الآلي والاستغلال الأمثل للأقمار الصناعية في مختلف مجالات الاتصال مما أدى إلى الاختلال الإعلامي وانعدام التوازن في مجال المعلومات .

ثانياً : التوصيات :

هناك مجموعة من التوصيات أهمها :-

- 1) علي الدول الإسلامية اختيار التكنولوجيا الملائمة لإمكانياتها وحاجاتها.
- 2) توطين تكنولوجيا الاتصال الحديثة في الدول الإسلامية وتنمية مصادر التكنولوجيا الوطنية .
- 3) التعاون المشترك بين الدول الإسلامية الثنائي والجماعي في استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة عالية التكلفة كالأقمار الصناعية والاتجاه للاكتفاء من الإنتاج الذاتي لتكنولوجيا الاتصال لتحقيق الأمن التكنولوجي .
- 4) دعم الدول الإسلامية لبعضها البعض خاصة الدول الأكثر فقراً في مجال تكنولوجيا الاتصال مما يدفع بها إلى درجة تسهم في التعاون المشترك في هذا المجال.

- 5) استغلال الفرص التي يتيحها عصر الفضاء في مجال الدعوة ومواجهة الغزو الفكري والثقافي والتواصل بين الشعوب الإسلامية .
- 6) الاهتمام بتدريب الكوادر الإسلامية الفنية لتقوم بأداء رسالتها بالصورة التي تتفق وعصر التكنولوجيا لإحداث المواكبة والاستغلال الأمثل لتكنولوجيا الاتصال .
- 7) إقامة قناة إسلامية تسد الفراغ الناجم عن القنوات الفضائية في الدول الإسلامية والعربية والتي اهتمت بالانتشار وزيادة عدد ساعات البث دون الالتفات للمضمون ومدى ملاءمته لحاجات الجمهور المتلقي وخدمة أهداف تلك البلدان .

#### المصادر والمراجع

- 1- حسن عماد مكاوي، تكنولوجيا الاتصال في عصر المعلومات، القاهرة الدار المصرية اللبنانية 1993.
- 2- سعد شعبان، الفضاء عصرا، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000
- 3- شريف درويش، تكنولوجيا الاتصال، القاهرة الدار المصرية اللبنانية، 2000
- 4- عبد الله السيد ولد أباه، المتغيرات التقنية في العالم الإسلامي، مجلة الاسلام اليوم، العدد 15، الرباط 1998.
- 5- عبد الوهاب فتاية، الإعلام الإسلامي في عصر الفضاء، مجلة الفن الإذاعي، العدد 149، القاهرة: اتحاد الإذاعة والتلفزيون، أبريل 1997.
- 6- عاطف العبد: دراسات في الإعلام الفضائي، القاهرة دار القومية العربية للثقافة والنشر 2000.
- 7- عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، دار القومية العربية للثقافة والنشر 2000.
- 8- محي الدين عبد الحليم، إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، قطر: كتاب الأمة، العدد (64) 1998.
- 9- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت: عالم المعرفة 2001.